

لبنان والعروبة

حسبما تكون نظرتنا الى مستقبل الاتجاه العربي الثوري نظرة متفائلة او متشائمة، ننظر ايضاً الى موضع لبنان من العروبة، وإلى موقف العروبة من لبنان. والواقع ان اكثرية الذين يسمون انفسهم ثوريين عربياً بهم يأس من لبنان ومن امكانية انفتاحه على العروبة وانسجامه معها.

وسبب هذه النظرة سطحية وانحراف في ثورية هؤلاء «الثوريين». فالعروبة الحديثة، اي العروبة الثورية، لا يجوز ان تأس من جزء من اجزاء وطنها وشعبها، لان الثورة العربية ليست الا الانقلاب على مواطن الالم واسباب التأخر والفرقة في مجتمعنا، ومعالجتها من الاعماق والجدور، بروح مشبعة بالايمان والتفاؤل، ايمان بمبادئ الثورة، وتفاؤل بقدرة شعبنا على التجاوب مع هذه المبادئ.

وأكثر من ذلك، فالروح الثورية انما هي التي تتخذ من المشاكل المعقدة مناسبات ودوافع لتعميق المبادئ وامتحانها، وتصحيح الاسلوب، واعطاء الرسالة كل معناها ومداهها.

وفي وطننا العربي الكبير من المشاكل والايضاع الشاذة المتراكمة ما يتحدى ثورية القومية العربية واصالتها كل يوم، ويدفعها باستمرار كيما تجعل من واقعها وعاءاً شفافاً للمبادئ التي نادى بها.

فالمغرب العربي وتكوينه التاريخي الخاص الذي جمع بين العرب والبربر، ثم هجرة اعداد ضخمة اليه من الاوروبيين في ظل الاستعمار الفرنسي . . . والعراق وأقلياته العنصرية، وخاصة تلك الاقلية الكبيرة من الاكراد . . . ولبنان وتكوينه الخاص الذي اعطى لفروق المذهب والدين معنى الاختلاف الحضاري، كل هذه الحالات تتطلب حلولاً ثورية سليمة، تحفظ للعروبة كل اجزاء ارضها وشعبها، وتحقق الوحدة الروحية والتفاهم والانسجام بين الجميع، بدلا من الحلول النابعة من اليأس التي تتراوح بين بتر الاجزاء المسببة للمشاكل، او الاحتفاظ بها بالقوة والقسر. واذا قصرنا الآن كلامنا على لبنان نجد ان مشكلته لم تطرح حتى الساعة بشكل

صحيح ونزيه، وأول ما يتوجب تصحيحه هو الاعتقاد بأن لبنان يكون مشكلة فريدة في الوطن العربي، مع انه احدى المشاكل الرئيسية وقد لا يكون اكثرها صعوبة. ولكن الأهم من ذلك هو التخلي نهائيا عن الحكم على عروبة لبنان بمقاييس هذه الدولة العربية اوتلك، والرجوع بدلاً من ذلك الى مقاييس العقيدة القومية الثورية التي لم تتجسد بعد بصورة كاملة في اية دولة عربية، وان كان بعض الدول يقترب منها اكثر من بعضها الآخر.

في ضوء هذه الحقيقة يبدو لبنان اقل ابتعادا عن العروبة من عدد من الاقطار الاخرى. وعندما نتخلص من هذا الالتباس نكون في الوقت نفسه قد وضعنا حدا في لبنان للاعتقاد الخاطيء الذي يعتبر كل نقص او خطأ في تصرفات بعض الدول العربية نقصا في القومية العربية ذاتها. كما اننا، بالمنطق نفسه، نرفض تقسيم الشعب في داخل لبنان الى قسمين، قسم مع العروبة وقسم ضدها، ذلك ان الجميع في نظر المقاييس القومية الثورية، بعيدون عنها، ولوباشكال ونسب مختلفة. اذ انه لو صح التقسيم الاصطلاحي وكان نصف سكان لبنان «عروبيين» اي عربا ثوريين، لما بقي فيه مخصصا للعروبة غير القلة من الرجعيين، بل لما كان فيه تقدمي الا وهو نصير لها مؤمن بها، لان مشكلة لبنان مع العروبة ليست الا مشكلة تقدمية العروبة.

وبهذا المعنى يصبح للبنان دور اساسي في تصحيح وتعميق وتكامل الحركة العربية الثورية، حتى ولو كان الذين يخاصمون العروبة فيه لا يقصدون التصحيح من موقفهم السلبي العدائي، اذ المفروض في العروبة الحديثة ان تكون قادرة على قبول هذا التحدي والاجابة عليه بمزيد من توضيح تقدميتها وتعميق ايمانها بالحرية والانسانية.

عام ١٩٦٠